

من
كتاب البرق الشامي
للعماد الأصفهاني الكاتب

ودخلت سنة ثلاث وثمانين

وهي السنة المحسنة ، والعام الذي عامت به في بشار الانعام بالاخلاص والحمد القلوب والالسنه ، والزمان التي تقضت على انتظار احسانه الازمنة ، والعصر الذي أحسننت به الأمة المؤمنة ، وظهر فيه المكان المقدس الذي سالت لسلامته الأمكنة ، وخلصت بمنحة الله من المحنة الأرض المقدسة الممتحنة . وتمكنت من رقاب أعداء الله به السنة بأيدي أوليائه المتملكة المتمكنة ، وتبسمت من غرار الغرور باحتباء حبرات الحبور الاجفان المتوسنة .

وفي هذه السنة نزل نص النصر ، وكفت كف الكفر ، وعلت اعلام الاسلام ونفذت احكام الاحكام ، وكفى الله شر الشرك وحكم على دماء الكفرة واسارهم بالسفك ، والهتك ، وتمكنت فيهم ايدي الايد بالفتك ، وضائق بهم رحاب الملك ، وطمت للدين بالسواحل بشار الملك ، ونصرت الدولة الناصرية ، وخسذت الملة النصرانية ، وحق الاعداء بالحق ، ودخل من قر فوق الأمرة من تلك الأسرة تحت الرق ، وطالت أولوية الأولياء ، وسالت أودية الاوداء ، ونال الأحماء فضل رب السماء ، وتجلت مآزيب النعماء ، وظهر سر السراء ، وتميز الطيب من الخبيث ، وانتقم التوحيد من التذليل ، وبننت للدين اعانة العين ، واغاثت المغيث ، وشاع في الدنيا بمحاسن الأيام الصلاحية حسن الاحاديث ، وبلي الفرنج الفجرة بما أثاروه وأثروه في البلاء من التأثير والتأريث ، وأحسوا من المصيبات التي فجأتهم فعمتهم بالكسر الكريث ، وافتضت بالذكور اليمانية في الحرب العوان الفتوح الابكار ، وحلبت هدى الهدي ، في ندى الندي ، وحليت بحلى الحلبي وتليت الاذكار ، واعترف من عادته الجحود وأقر من دأبه

الاذكار ، وملكت من معاقل الكفر على من باض فيها وفرخ الأوكار ، واعتري ليلهم يوم الاعتراك الاعتكار .

وتناهت بالفتوحات الممنوحات في هذا العام عشي أيامه والابكار ، وكانوا كما قال الله تعالى : « وترى الناس سكارى وما هم بسكارى » فبالله ذلك العذاب الشديد والاسكار ، وقد وصفت في الكتاب الموسوم بالفتح القدسي هذه الأحوال ، ووسعت ووسعت الأقوال ، وحليت الفتوح ، وأمليت الشروح ، وأهديت المنوح ، ونفخت في أجسام تلك الأيام بأحياء ذكرها الروح

وأنا أورد في هذا الكتاب مما أوردته جملة الجميلة وجلالته الجليلة ، وحالته الحالية ، وقيمته الغالية ، وفضيلته الفاضلة ، وعدالته الشاهدة وشهادته العادلة .

ذكر مقدمة لذلك مباركة ومكرمة من لطف الله متدركة .

كان السلطان قدم الكتب لاستقدام الكتائب واستدعت الغرائب بالرغائب وقرب جنحية الأقارب والأقاصي مظهرات مكرماته والجوهم على عادات علاء عاداته (١) وسمات حسناته ، وواصل الموصل بالبر البري من المر ، وسنجا استجرى المذاكي الخلية الوهن ونصيبين للأسعاف نصيب الأسعاف ، وأمد ديار بكر بالامداد بعد الامداد ، واستدعى عساكر ممالك الشام من الأطراف والأوساط ، وأمرهم بالاحتياط ، وصانهم للاقتصاد في القضم من التفريط والافراط ، وبرز من دمشق يوم السبت أول محرم في العسكر العرمرم ، والعزم المصمم للفرض المحتم والرعب الى العدو والباس المقدم ، ومضى بأهل الجنة بالجهاد الى أهل جهنم ، فلما وصل الى رأس الماء (٢) اتخذها مذبح نحو الهيجاء ومضمار خيل الاجراء ومثار العجاج المكرر على نهار الروع ليل

الظلماء ، وجعلها مطلع فلق فيالقته ، ومحيط مضارب
سرادقة ، ومجال رواعده على بوارقه ، ومجر سوابغه مجرى
سوابقة ، ومجمع جموع خلانقه ، ومحمى حماة حقايقة ، ومحشر
معاشرة ، ومريض أساده وقساوره ، ومخيم جيوشه ومجثم
عساكره ، وأمر ولده الملك الأفضل نور الدين عليا بالاقامة هناك
ليستدني اليه الأمراء الواصلين والاملاك ، ويجمع الأعراب
والأعاجم والأتراك ، ويذاوم لما... (٣) فرط الاستدراك ولايفارق لما
يلزمه الاحاطة بعمله الادراك ، ويضمم لمجمع الاجناد
الاشتات ، ويجم لموسم الجهاد الاوقات ، وسار السلطان الى
بصرى ، وخيم على قصر السلامة ، وقد استقبل من الله
الكرامة ، والاستقامة .

ذكر السبب في ذلك

وقد سبق ذكر غدر ابرنيس الكرك • وفسخه للهدنة • واعتماده
من قطع الطريق واخافة السبيل كل ما في المكنة • وهو على طريق
العسكر المصري والحاج • شبيد الالتجاج • وفي بحر
الجاج • وكان في الحج حسام الدين محمد بن عمر بن
لاجين • ووالدته اخت السلطان مع جملة من الخواص
المقربين ، وأقام الى تلقي الحجيج • واستقبل محيا لقائهم
البهيج • وريا رؤاهم الأريج • وخلا من منعلم سره • وتجلي
لبشرى سلامتهم بشره • وذلك في آخر صفر • ووجه صباحته
لاسفار صبيحة الظفر سفر • ثم لما فرغ باله • جم الى الكرك
استقلاله • وتقدم بمن معه من العساكر حتى نزل على حصنها
نزول الحاص الحاصر • وأقمنا هناك نرعد ونبرق • وذوقد
ونحرق • ونرمق ونومق ، ونهرق ونزممق ، ونغرب
ونشرق ، ونضايق ونضيق ، ونجمع البلاء على تلك البلاد
ونمزق ، حتى اجتثت أصولها وفروعها ، واستأصل كرومها

وزروعها ، وقطع ما وجدته من لينة ، وأذهب ماراقه من زينة ، وفري
وقرى وفصم العرى ، وابسط الذرى ، وهجم على ظهر
الثرى ، وحلب حر النجع هدى ، وشب الشوبك نار الوعيد بأشارة
رأس الوليد ، وقطف ثمر النصر من ورق الحديد ، ووصل العسكر
المصري متصل المدد ، محتفل العدد والعدد متضح الجد
والجدد ، ومضطرم للهام ، ملتهم للضرام ، ملتهب للجمر ، ملتهدج
الجمع ، أخذة بوارقه ورواعده ، بالبصر والسمع ، فقوي
الاستظهار واستظهرت القوى ، وساقق وراقت مزايينه المجلوبة
ومحاسنة المجلوة ، وأقمنا على الحالة الحالية والجلالة
الجالية ، والمهابة المرهبة ، والمحبة المرغبة .

ذكر ظفر السرية التي بعثها الملك الأفضل وعودها
بالنصر الأكمل والغزم الأجل .

أما الملك الأفضل فإنه اجتمعت عنده الجنود من كل فريق ، وأتوه
من كل فج عميق وضاق بوفودهم الفضاء ، وفاض بوفورهم
القضاء ، واجتمع من دجى عتيرهم ومشى بنورهم الظلام
والضياء ، واشتبتك الأرض والسماء ، وطفا على بحار الرحاب
من القب والقباب الحباب ، وطما بأمواج العوامل وأفواج الجحافل
من الكمت والكماء العباب ، وانفضى من السنة شهران ، وطال بهم
انتظار السلطان ، والدين يتقاضاهم بدينه ، والكفر يتحاماهم على
حينه ، فرأى الملك الأفضل ان يشغلهم بغزوة يعددون منها
بحظوة ، فأنهض منهم سرية سرية نخية على ذوي البسالة والبأس
والشدة والمراس ، ورتب علي خيل الجزيرة ومن جاء من الشرق
وبيار بكر مظفر الدين كوكبرى صاحب حران الأغلب الأعز ، وعلى
عسكر حلب والبلاد الشامية بدر الدين دلدرم بن ياروق • وهو الذي
بحماسته يرتق من الاسلام بالفتوح الرتوق • وعلى عسكر دمشق
وبلاها صارم الدين قايماز • وهو يفوق قضاء مضاربه الصارم

الهرماز والعضب الجراز • فأسرجوا الخيل • وأدجوا
الليل . وجروا من السابريات النيل • وأجروا من الأعوجيات
السييل • وجلبوا الى العداة الويل • وصبحوا صفورية في أواخر
صفر • وصباح النصر قد افتغر • فخرج اليهم الفرنج في حشود
جهنم وريويديلملم • وجنود ابليس واسود تحمي العريس .
وسراحين على سراحيب • وأهـاضيب تتحلل
أهـاضيب • وتعقل انايب وتشتمل شأيب • في الداوية
بأدواتها • والاسبتار بأسوائها • والبـارونية
بـلاوائها • والتـركبوية وأربائـها • والفـرنجية
بـضرائها • ووثبوا في وثبات الآساد • وحملوا في ثبات
الأجواد • فلولا ان الله قد اصحب اصحابنا التوفيق وهدى أهل
هذه الطريق • لكاد الكفر ينجو والاسلام لايعتز بالأجر • لكن
أمـرائه الكرام اسـتطابوا الحمـام • فـلاقـوهم بـقلوب
الصخور • وحبور الصقور • وياشروا بصـدورهم صـدور
الأسنة • وغامروا بنـدورهم نـحور الأعنة ، فأتاهم الله النصر
المني ، والظفر السنني ، وسقوا منهم حنين الحنايا • وأدركوا
فيهم منى المنايا • وفازوا وظفروا • وحازوا وانتصروا • وقتلوا
وأسروا • وهلك مقدم الاسبتار • وحصل جماعة من فرسانهم في
قبضة الأسار • وعادوا سالمين سالبين • غانمين غالبين • وقد
كبسوا وكسبوا • وسحبوا نيول الاختيال بصدق ما حسبوا • وكانت
تلك الذبابة الحلوة • والخـطوة الصـفوة • بـأكوره
البركات • ومقدمة ما بعدها من ميامن الحركات • واندرج ان الله
يعلي لأوليائه الدرجات • ويسـوق زمـر أعدائه الى
الدركات • وجاءتنا البشري ونحن في نواحي الكرك والشوبك ندور
ونجول • ونجور ونذور وعلى الأعداء منا الدحور والثبور • فلما
قرأنا الكتب بالاستنهاض والانبجاث حللنا حبلى اللبـاث وعقدنا عزم
الانبجاث • واستمهلنا مهول الأوعات .

ذكر الاجتماع بالعساكر .

وعدنا واجتمعنا بالعساكر ، وانتظم عمــــال الأوائل والأواخر ، وخيمنا على عشترا ، والقدر يقول للسلطان تعيش وترى ، وقد غصت بخيل الله الوهاد والذرى ، واشتمل المعسكر على فراسخ عرضا وطولا ، وملا بالملأ حزونا وسهولا ، فما يرى الا خيل صفون رحض كأنها حصون ، وزعف موضون ، وعضب مسنون ، وفيض مكنون ، وحركة وسكون ، وركوب وركون ، وجنات وعيون ، وفلك في بحر من العسكر في البر مشحون ، وضاعت الأيام عن عرضها ، وتقاضت الليالي بقرضها ، ونزلت جنود سمائها الى جنود ارضها ، فللمقانب مناقب ، وللمواكب من الخرصان كواكب ، وللكتاب من الشجعان مناكب ، وللذوائل ذوائب ، وللعصب من البيارق عصائب ، وللريح سحائب ، وللوهج مشارق ومغارب ، وللمراكب مراقب وللسلاهب جنائب. وللحقائق حقائق ، وللمواهب مزاheb ، وفي كل يوم انفاق وارقاد وارفاق ، واشراف واشراق ، واعتلاء واعتلاق ، واعتناء واعتناق ، واجتماع لا افتراق ، وانطلاق واندلاق ، وامتراء وامتراق ، وايلاف وائتلاف ، واستباق والتحاق ، واختفاق من ألوية الأولياء واصطفاق ، وضمر وعتاق ، وسمر ودقاق ، وبيض رفاق ، وعطاء حساب ، وكأس من الجوددهاق ، وعرض العسكر في اثني عشر الف مدجج ، في ليل العجاج مدلج ، يشتمل على عدة جنائب اسعاد أتت في الجري شمائل ، وجنائب سواغب تجري بها الرياح ، ورماح شيلها المراح ، ورواسي ســـــواري ، وأعلام جواري ، من كل كاف بلام ، وراء لعين حمام ، وضارب بضرام وهام لهام لهام ، وضلغم ضرغام ، ومصمم بصمصام ، وحاسم بحسام ، ومقدام لهمام قمقام ، وفارس للأسد فارس ، وللروع ممار ممارس ، وللصيح بما يثيره حابس ، وباشر بالكريهة غير عابس ، قاذح لسنا السنابك قابس ، مناف لعداة الاسلام في الدين

منافس ، وكل مجاهد بسر الصدق مجاهر ، ومظافر لأولياء الله
مظاهر ، ولعاشر الحق معاشر ، وباسل للبأس باسر ، والفتخ
الكواسر كاسر ، ولكأس النجيع حاس وعن ساعد الجسد
حاسر ، ناصب لنصرة الدين ماله غير الله من ناصر .

ذكر الدخول الى الساحل لاقاء الفرنج ، وكان الرحيل يوم الجمعة سابع عشر شهر ربيع الآخر

ولما انقضى العرض . اقتضى الفرض . وسالت بأفلاك السماء
الأرض . والتطم البحر . والتمم الجمع . والتهب الجمر .
واضطرب المجر . واحتبس الفجر . واقتبس الأجر . وقربت
الضمر . وبرقت البيض والسمر . وردت بالردى العداة الزرق المنايا
الحر . ونشرت للأواء بني الأصفر الألوية الصفر . وراقت لنصرة
ثمر النصره أوراق الحديد الخضر . وأنارت بالأيامن الغرا الأيام
الغبر . وتمكن في قلب الكفر من بأسنا الذعر . وانصف الدهر .
واسعف النصر . وكان السلطان قبل يوم رحيله . وعزم الجهاد لله
في سبيله . اركب العسكر بعدته وعدته . وحبيده وحدته . وبيضه
ومجره ولجبه . ورتبه اطلابا . وحزبه احزابا . وعين رجال القلب
ومن يقف بالقرب . والميمنة وحماتها . والميسرة وولاتها .
والجناحين وقوادهما من ذوي الاقدام . والمقدمة والساقه على سنن
النظام . وعين مواقف الرجال ومواضع الأبطال . وعين الجاليشية
من كل طلب ورماسة احداقها وحذاق رماتها . وعين لكل امير
موضعه . ولكل منير مطلع . ولكل اسل مركزه ولكل سحبل
منهزه . ولكل أسد عرينه . ولكل قرن قرينه . ولكل جحدم
مقامه . ولكل مرام مرامه . ولكل عازم مذهبه ولكل حازم
موكبه . وقرر مـظانـهن في الركوب والنزول والثبوت
والحلول . ومعارج الصفوف . ومدارج الزخوف . ومناهج
الحتوف . ومخارج المثين . وموالج الألوف .

وسار يوم الجمعة سابع عشر ربيع الآخر بالعساكر . والاسد
القساور . والفتخ الكواسر . والقضب البواتر . والقلك
المواخر . والسحب المواطر . والسحم الدياجر . والحمس
الزوائر . والغر السوافر . والبيض الزواهر . والسمر
الشواجر . والبيض المغافر . والقوم المعاشر . والبلاد
والحاضر . والخف والحافر . والصلب والمساجر . والأكارم
والأكابـر . والسـاعي والسـائر . والعـالي
والفاخر في عايات سفره . رعن الرعن لعايات كفره . حزن الحزن
وهى . مغاوير هدى . دان لها التقدير الخمائى عدى . بنا منها
القدمير . وسارت على ترتيبها وتعبئتها وتنكيبها وتنقيبها محشورة
عصائبها مذشورة ذوائبها . سائلة أوبيتها . جائلة أرضها . فهى
تخرق الخرق . وتغرق الفرق على الفرق . تملا الوهاد
بهوائها . وتكلا من العوادي بعوايها . وأناخت ليلة السبب على
خسفين والكفر مخسوف . والشرك مكسوف . وكل جبل بلجها
مذسوف ونسيم النصر من قوتها مسوف . وللأقدام في لج الأقدام
رسوب ورسوف . وللين في فضله وعدله والكفر عسوف . وباتت
تلك الليلة والرماح مركوزه والصفاح مهزوزة . وللمقربات
تصال . وللمضروبات صقال . وللمنسوجات اجراء . وللشريجات
اغراء . وللعوج رنان . وللأعوجيات رهان . وللقساطل
اقساط . وللصواهل أصوات . وللسلامة امراط . وللاستقامة
صراط . ولأوراد المنايا فراط . ولأقطار الجو من جوانب الأسنة
اقراط . ولحكيم الظفر من مقتضيات القدر مناط . وللقيام
اشتراط . وللقتاد اختراط ، وللعسكر بساط . وللعثير
اضباط ، وللهمم اعباط . وللهمم ارتبباط . وللبهم
اختباط . وللأمم احتباط . وللعزم نشاط . وللحزم
يشاط . وللغماغم اختلاط . وللصوارم اشتطاط . وللنجم
مماط . وللأفق منه سماط .

فلما بكروا ركبوا وكبروا . واخذ بحرهم في الالتجاج . وبرهم في
الإرتجاج والجو في الارتجاج . والدو في الامتجاج . وقلب الكفر في

الانزعاج . وجند السماء والأرض في الامتزاج . والصبح في الانبلاج
لولا معارضة العجاج . وخضرم الخضراء من غبرة الغبراء ذو
الأمواج والأفواج . وتلتها أفق العجاج . وقوس الترائك لامعة في
الأبراج . ومضايق الزحام داعية إلى الانفراج . والأسد سابحة في
غاب القنا إلى الهياج . وأجنة الحنايا مشرفة على
الإحراج . وأسنة المنايا مشرعة للانشاج . وأعنة السرايا مسرعة
للاندلاج . وليل الخيل داج . وطرف الغزالة ساج . ورعب الجيش
يخامر الدهر شاج . ونقود الرواحل من عقود الرواغب في
رواج . والشوارع نازعة للرجاء وأسراء من الجوام
واسراج . ونزلوا بثغر الأقحوانة حروض راء . وعقد غير
واء . وعزم غير باء . وعز متبأء ، وسعد متبأء . وحكم أمر
ناء . وعيون ذات أسبأء . ووجوه نضر ذي اتجأء . ومضأء للأضأء
مضأء . وشفار بيض لها مع الأعداء شفاء شفاء . وضربت
الخيام . وغصت الوهاد والآكام . واشتد الغرام . وامتد
الضرام . ووجد بالجد العرام . وتقدمت المساعي وسعت
الأقدام . وعلت الأعلام الأعلام . وزها الإسلام . وأمكن من الكفر
الانتقام . وحمي للتحزب الحمام . وشد للتخرم الحزام . وأقام
الطيف . وطاب المقام . وزاد في الكف الكفاء الكفاح مراح
الرماح . وتصافح الصفاح . وعرف كيف ركوب الجبال
للرياح . ووعدت الظباء الظلماء بإروائها من الأرواح .

وأقام السلطان هناك خمسة أيام إلى يوم الخميس . في ذلك
الخميس بضراغم الخيس . وقساور العريس . وبنات قواعد
التأسيس . وأساة المضايق بالتفيس . وحماة الحقائق في طوري
الايحاش والتأسيس . وولاة الفيالق المباشرة بالبشر يوم
التعبيس . ورماة المآزق في إدارة العذاب البئيس من بلاد الشرك
بدار الدريس . واقتداح زناد الأفراج . وانهاض جناح
النجاح . إلى إرداء أهل الجناح . وكيف وأين ومتى يكون
اللقاء . وهل يفترق الأحباب . وقد اجتمع الأعداء . ثم صممنا

العزائم على تثبيت الأقدام للأقدام . وسلب لبس السلامة من ملابس عادة الاسلام .

ذكر ما اعتمده الفرنج

أول ما سمع الفرنج باجتماع كلمة الاسلام . ووصول امداد العساكر المصرية والجزيرية الى الشام فرغوا من هجوم حين حينهم . وشرعوا في اصلاح ذات بينهم . وزحفوا عن التقاير والتنافس الى التضافر والتواذس . وقالوا :نحن انصار النصرانية . واصلاب الملة الصليبية . وقيام القيام بها . وعصب العصبية . وعمدة المعموية . وداروا بدرافاويق الوفاق . ونزعوا الى نزع شقق الشقاق . وأثار القوم صلح القومص (٤) ووصلوا على مرانه مطلع امانيه بالمخلص . ثم تزاوروا وتوازروروا . وتضافروا وتظاهروا . وحشدوا وحشروا . ونصروا واستنفروا . والتأموا واشلاموا . وتذمروا وتذمموا . وتخطوا وتورطوا . واخترموا واخترطوا . واشتطوا وافرطوا . وندموا على ما فرطوا . وخطبوا وخبطوا . وامتزجوا واختلطوا . وقبضوا وبسطوا وقسطوا وفي ايديهم اعطوا . وجمعوا عبدة الناسوت واللاهوت . ورفعوا صليب الصليبوت . وثار اليه كل ملتاح الى الثأر مرتاح . الى النار دار بالجيب الجرار . وار يفلح الأوار . ضار بلاضار . مستمر مع اسرار . غمر من الأغمار . وكل مغومغوار . وباد بادبار . وناز بزناز . وكافر فجار . وناكث غدار . وباسل ني بأس . وفارس للأساد فراس . وداوي داء خبيته عضال . واسبثاري له دون تباره نضال . وباروني يبارى البوار . وتركبولي لا يترك الغوار ، وينزع النزاع الى الاوتار الاوتار . وكل متدرع بجلد أرقم يهز أفعوانا . وكل شيطان يجز لهتخ ماء الأرواح أشطانا . وكل متميز في الوغى متمرن على الردى مترنم . بصليل الظبا مترنح . بكعوب القنا متوقح . بضراورة الشر على ضاربي الشرى متوقد . يفض

الجمع الجم كأنه حمر الغضا . مقتحم للطبيعة النارية شواظ
لظى . ضرب كالغضب المنتضى . تنحت كالشبا . وكل جحيمي
جاحم . وضرامي ضارم . وجهنمي بجهامة . وممـثري
بصرامة . وناري يلفح . وحجري يقدح . ومارد مارج . وصرف
للشر مرازج . وسعري ذي استعار . كأس من عار . حاس من دم
جار . عاس على العجم جاس في الهجوم . خاس في الرجم . قاف
اثر الغي . كاف بعين البغي . جاف على النثر والطي . حاف في
الزعف راد بالزحف . ساق بالحذف . ناصب بالفعل جازم
بالحذف ، وشارب نجيع شار ، وضريب قريع ضار ، وكل مجترم
مجترح محترف للموت مقترح ، حقيق بالروع مصطبح ملتفع ملثم
القطوب ملتفع مصطلم لذلم الخطوب مصططح ، وكل ذي فضفاض
وسابغ ونضناض لادغ ، وعاوزائغ ، وعار في الدمساء
والغ ، وسالب باسل ، وطالب باطل ، وعامل ناصب ، وعاسل
لاسع بعاسل ، وكلب نابج وثعلب ضابح ، وسرحان سارح ، وزئب
جارج ، وزرق تمتش بزرق الأسنان ، وشقر تعبي الشقر بصرف
الاعنة ، وكل رامح رام ، ونابل ناب ، وراحض عاب ، وحاضر
غاب ، ومرتكب كباثر ، ومرتكب جراث ، ومبتكر جرائم ومشارك
عظام رثبال ، وأمعط مغتال ، وأمرط ضال ، فعاموا في بحر
العمى ، وحاموا من الردى حول الحمى ، وغاروا للاقتحام
الوغى ، وأصحروا بصحراء صفورية في غيل القنا ، وطلبوا في نهج
المنيا نجح المنا ، ومشوا الى المداناة ، ونأوا عن الونى ، وطمى
سيل خيلهم على الوهاد والثرى ، ودب راجلهم كرجل الدبا ، وحلوا
لحب الموت الحبا ، وقال الظلال في ظلام العجاج ، وضاق القضاء
عن مجال الضحضاح ، وبدا خـرق الصـبـح فوقى النقع
بالوقع ، وشكا الثرى الى الثريا من الحواجر الحوافر شدة
الوقع ، واحتابوا مواقع واجتنبوا سوابق ، والمعوا والبوارق •
وأسمعوا الصواعق • وقربوا السوابق • وأبعدوا الخوانق •
وحملوا الطوراق الطوارق ، وشبوا نار الفرق ، وأشابوا
المفارق ، واعتقلوا القنطاريات قناطر العبور العير ، وانتزوا لحماية

السلب في العوامل كما سلات النحل مسدساتها بالأبر ، وطال الشر
وطار الشرار ، وشق الأمر ، وسقت المرار ، وأخضرت الغبراء من
الحديد ، وأغبرت الخضراء من الصعيد ، وساحت
السيول ، وسالت الشعاب ، وتفايضت البحار ، وتضايقت
الرحاب ، وتموج بضراغة الغاب ، وأرعبت أيماض البروق
وأصعاد الرعود ، فللكفر منهم ظلمات بعضها فوق بعض ، وختام
القتام بالفضاء في فض ، وغدران الفران في فيض ، والنجوم في
انقاض ، والرجوم في ارفضاض ، والذوابل في ارتفاع ، والعوامل
في ارتفاع ، والعواهل في اضطراب ، والصواهل في اصطخاب
والجيش شك ، والعيش شك ، والاشراك ناصب و اشراك وخاطب
ادراك ، وطالب بوار ، وحاطب ليل خسار ، وثائر ثار ، ونيران
المذاكي مذكي نار .

عاد الحديث الى افتتاح السلطان بفتح طبرية وذلك عشية الخميس ثالث عشر ربيع الآخر وذكر المشاورات

وما زال السلطان له مستخيرا ، وبعونه مستجيرا ، ولأعوانه
مستشيرا ، فأشار الأمراء ذووا الآراء بالصمود عن اللقاء
والمحافظة على نضار الاسلام بصون الذمء وحققن الدماء
وقالوا : لم يسبقك أحد الى مضايقة القوم ، ومحاققة المزم في
الرقم ، وما بلغ الأملاك قبلك الا ما بلغت ، ولم يريغوا من هذا المراد
ما أرغت ، وهذه جمرة الاسلام ، ونخبة رجال الشام فلا تفركم
تنقال المعركة ، ولاتلق بأيديهم الى التهلكة ، وهذه بلادهم قد خلت
منهم ، ونأت بقربهم ضياعهم ، فذشتغل بالاغارة على بلادهم
الخالية ونقدم بأقدامنا عطل احوالها الحالية ، ونرجع بالغنائم
والسبايا والمرباع والصفايا ، وما نزال نزيدهم حتى نضعفهم بامداد
البلايا ، ونخلص من انسانهم عاجلا أو آجلا ، بالقود والسبايا .

فقال السلطان : ان الأيام غير مأمونة ، والأعمار غير مضمونة ، والجهاد فـرض فـرضه رسول الله في أرضه وسمائه ، وندبر بطوله وعرضه عرضة ، ولا يد من هذا اللقاء أما وإمسا وإن الله اصـدق القائلين : « ولينصرن الله من ينصره » فقالوا : خصك الله وأفردك بهذه الفضيلة ونجح الوسيلة ، وحيث استخرت الله في الاقدام فاننا نبذل المنح بين يديك للاسلام.

فلما أصبح يوم الخميس • سار الخميس • وزحف بأسده العريس، وطلبت اطلاب احباب لآله لقاء الأعداء • وجرت السوابق على الأردن أربيان الوديان في الاجراء، واعتضدت أملاك الأرض بملائكة السماء • ولوت أولياء الله على العبدى ألوية اللأواء • ورمدت عين الفلك من ملابسة الأقداء • وحاتر غزالة الفلق من أسد الفيلق • وتقيد عنان الجومن عنان الجواد • ولاح سنا الموت الأحمر في السنان الأزرق • وأشرف على الفرنج في معسكرها العسكر • وقام الحشر • وعات العير • وماج البيض والسنور • ومار المورد والمصدر • وغام اليوم الأغبر، وراغ الحديد الأخضر • وراق الأبيض والأسمر • ووقف مـسع المثير المعشر • وحال المغيث وهال المحضر • وهاب المنظر والمخبر • وظهر الحق وحق المظهر • وارتفعت الأصوات بقول : « الله الأكبر » فلو برزوا للمصاف لطالت عليهم يد الانتصاف لكنهم ربضوا ومانبضوا • وقعدوا وما نهضوا وأخذوا الى الأرض • وشدوا نواجذ العض • ولم يدعوا مـرابضهم في ذلك المكان • ولم يشيموا ما في الأجفان • وثبتوا ونبتوا ، وسكذوا وسكذوا • وأشفقوا في البروز من الخطر • وفي الخروج من الغرر • وحذروا من القدر لو دفع القدر بالحرر .

فلما عرف السلطان أنهم لا يبرحون • ومن قرب صـفورية لاينزحون وأنهم لا يهيجون الى الهياج • ولا يخوضون معه بحر العجاج • أمر أمراه أن يقيموا على مقابلتهم • ويذموا على عزم

مقاتلتهم • ونزل هو في خواصه العيسية على مدينة طبرية • وعلم
أنهم اذا علموا بنزوله عليها بادروا بالوصول اليها • فحينئذ يتمكن
من قتالهم • ويجهد في استئصالهم • فحضر طبرية
وحصرها • وابتدأ بها وابتدأها وجمع الرجال على أحد أبراجها
وأخلاها مما حمى أهلها من أعلاجها • فوقع ذلك البرج • وانتزح
عنه الفرنج • ونصبت عليه سلالم الاسلام • وبخلوها في جنح
الظلام • فاستضاءوا بما أعلق من الضرام • وعاد ليله معدودة من
الأيام • ووقعت النار في مخازن كتان واهراء غلال • فاحترقت
أمتعة بأموال • وكبسوا رباعا وكسبوا متاعا • وأرهبوا
وأوهجوا مرضا وضرما • وأخرجوا وأخرجوا نعمما
ونعما • وبقيت الدور فارغة شاغرة • وأفواه الأطماع الى ازدراد
ماتحويها فارغة • وتحصنت القومصية ست طبرية في
قلعتها • ومعها بذوها وحموها بسيوفهم وعصموها • ووقع
الاشتغال بحصارها • ونقب جدارها وطم جوارها • وفصم
سوارها .

فجاء من أخبر بأن الفرنج قد بكروا وركبوا • وأجابوا بخيلهم
ورجلهم وتحربوا وتحزبوا وتصلبوا وصلبوا • وتعصبوا
وتصعبوا • وثاروا وفاروا • ورازوا وزأروا • وجاءوا
واجئين • بالفجائع ماجئين • وفي ليل القتام مدجين • وفي بحر
اللام ملججين مدججين • والى حزب التوحيد بحزب التثليث
مخرجين • ومن كل جبل تحرقه الريح • ومشيح شعاره
المسيح • وذمر يخفر الزمان ويبيع ، ونصب الى الموت
يستريح • ومشتاق الى ملاقة المذون قد حثه التبريح • ومخرج
الى التورط في الردى من هول ماهوله يصيح • ومرتجج يؤذسه
المارق اللجج • ويوحشه الفضاء الفسيح • ومن كل بطل
مكره • وحبل مد مده ، وقرم قرم • وضرغام ضرم • وكل معاند
للبلاء معاق وكل حان لثمر العناء جان .